بر الوالدين

تَعْريفُ البِرِّ:

البِرُّ في اللُّغَةِ: الإِحْسانُ، والإِكْرامُ، والخَيْرُ، والفَضْلُ، وهُو ضِدُّ العُقُوقِ(١).

فَبِرُّ الوالِدَيْنِ مَعْناهُ: الإِحْسانُ إِلَيْهِما، وفِعْلُ الجَميلِ مَعَهُما، بِالقَوْلِ، والفِعْلِ؛ تَقَرُّبًا إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَبِرُّ الوالِدَيْنِ مِن أَعْظَمِ شَعائِرِ الدِّينِ:

فَقَدْ عَطَفَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عِبادَتِهِ، وتَوْحيدِهِ؛ فَقالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) لسانُ العربِ (٤/ ٥٤)، والمصباحُ المنيرِ (١/ ٤٣).

وَهُوَ العَهْدُ المُؤَكَّدُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبادِهِ:

قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥] أَي: «عَهِدْنا إِلَيْهِ، وجَعَلْناهُ وصيَّةً عِنْدَهُ، سَنَسْأَلُهُ عَنِ القيامِ بِها، وهَلْ حَفِظَها أَمْ لا؟»(١).

وَأَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّواضُعِ، ولِينِ الجانِبِ لَهُما؛ فَقالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

قالَ عُرْوَةُ: «إِنْ أَغْضَباكَ فَلا تَنْظُرْ إِلَيْهِما شَزَرًا؛ فَإِنَّهُ أَوَّل ما يُعْرَفُ غَضَبُ المَرْءِ بِشِدَّةِ نَظَرِهِ إِلى مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ»(٢).

وَقالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ في قَوْلِهِ: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: «قَوْلُ العبدِ المُذْنِبِ لِلسَّيِّدِ الفَظِّ»(٣).

---

(١) تفسيرُ السَّعْديِّ (ص٦٤٨).

(٢) تفسيرُ ابنِ أَبي حاتمٍ (١٣٢٣٩).

(٣) تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (١٤/ ٥٤٩).

وَقَرَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شُكْرَهُ بِشُكْرِ الوالِدَيْنِ؛ فَقالَ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وَبِرُّ الوالِدَيْنِ مِن أَحَبِّ الأَعْمالِ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

فَقَدْ سُئِلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ قالَ: «**الصلاةُ على وقْتِها**».

قيلَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الوالِدَيْنِ**».

قالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: «**الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ**»(١).

وَبِرُّ الوالِدَيْنِ ورِعايَتُهُما مِنَ الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ:

فَقَدْ جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاسْتَأْذَنَهُ في الجِهادِ، فَقالَ: «أَحَيٌّ والِداكَ؟»، قالَ: نَعَمْ، قالَ: «فَفيهِما فَجاهِدْ»(٢).

وَرِضاهُما مِن أَعْظَمِ السُّبُلِ، وأَسْلَكِ الطُّرُقِ؛ لِنَيْلِ رِضا رَبِّ العالَمينَ:

فَفي الحديثِ: «**رِضا الرَّبِّ في رِضا الوالِدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوالِدِ**»(٣).

---

(١) رَواهُ البُخاريُّ (٥٢٧)، ومُسلمٌ (٨٥).

(٢) رَواهُ البُخاريُّ (٣٠٠٤)، ومُسلمٌ (٢٥٤٩).

(٣) رَواهُ التِّرمذيُّ (١٨٩٩)، وهو في صَحيحِ الجامِعِ (٣٥٠٦).

وَبِرُّ الوالِدَيْنِ مِن أَعْظَمِ أَبْوابِ الجَنَّةِ:

فَفي الحديثِ: «**الوالِدُ أَوْسَطُ أَبْوابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذلكَ البابَ، أَوِ احْفَظْهُ**»(١).

وَلَمَّا جاءَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُريدُ الخُرُوجَ إلى الجِهادِ؛ قالَ لَهُ: «**هَلْ لَكَ مِن أُمٍّ؟**»، قالَ: نَعَمْ، قالَ: «**فالزَمْها؛ فَإِنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْها**»(٢).

وَفي الحديثِ: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**»، قيلَ: مَنْ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدَهُما، أَوْ كِلَيْهِما، فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**»(٣).

وَبِرُّ الوالِدَيْنِ كَفَّارَةٌ لِلسَّيِّئاتِ، وسَبَبٌ لِلنَّجاةِ مِنَ النَّارِ:

فَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقالَ: يا رسولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظيمًا؛ فَهَلْ لي تَوْبَةٌ؟

- قالَ: «**هَلْ لَكَ مِن أُمٍّ؟**».

- قالَ: لا.

- قالَ: «**هَلْ لَكَ مِن خالَةٍ؟**».

- قالَ: نَعَمْ.

---

(١) رَواهُ التِّرمذيُّ (١٩٠٠)، وابن ماجة (٢٠٨٩)، وهو في صحيحِ الجامعِ (٧١٤٥).
(٢) رَواهُ النَّسَائيُّ (٣١٠٤)، وحَسَّنَهُ الألْبانيُّ في إرواءِ الغليلِ (٥/ ٢١).
(٣) رَواهُ مُسلمٌ (٢٥٥١).

- قالَ: «**فَبِرَّها**»[١].

فَدَلَّ هذا الحديثُ على أَنَّ بِرَّ الأُمِّ، أَوْ صِلَةَ الرَّحِمِ، مِن جُمْلَةِ الحَسَناتِ الَّتي تُذْهِبُ السَّيِّئاتِ، أَوْ تَقُومُ مَقامَها مِنَ الطَّاعاتِ، وهُو أَحَدُ معاني قولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠][٢].

وَقَد رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا جاءَ إلى عُمَرَ، فَقالَ: إِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا.

قالَ: ويْحَكَ! أَخَطَأً أَمْ عَمْدًا؟ هَلْ مِن والِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟

قالَ: نَعَمْ.

قالَ: أُمُّكَ؟

قالَ: لا واللهِ، إِنَّهُ لَأَبي.

قالَ: انْطَلِقْ فَبَرَّهُ، وأَحْسِنْ إِلَيْهِ.

فَلَـمَّا انْطَلَقَ، قـالَ عُمَرُ: «والذي نَفْسُ عُمَرَ بيَدِهِ؛ لَـوْ كانَتْ أُمُّهُ حَيَّةً فَبَرَّها، وأَحْسَنَ إِلَيْها؛ رَجَوْتُ أَنْ لا تَطْعَمَهُ النَّارُ أَبَدًا»[٣].

وَعَـنْ عَطـاءِ بْنِ يَسـارٍ، عَنِ ابـنِ عَبَّاسٍ، أَنَّـهُ أَتاهُ رَجُلٌ، فَقـالَ: إِنِّي

(١) رَواهُ التِّرمذيُّ (١٩٠٤)، وأَعَلَّهُ بِالإِرْسالِ، وكَذا أَعَلَّهُ الدَّارَقُطْنيُّ بالإِرْسالِ، وصَحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في صحيحِ الترغيبِ (٢٥٠٤).

(٢) مِرْقاةُ المفاتيحِ (٧/ ٣٠٩٢).

(٣) البِرُّ والصِّلَةُ لابنِ الجَوزيِّ (ص٧٠).

خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَني، وخَطَبَها غيري، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْها فَقَتَلْتُها، فَهَلْ لي مِن تَوْبَةٍ؟

قالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟

قالَ: لا.

قالَ: تُبْ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وتَقَرَّبْ إِلَيْهِ ما اسْتَطَعْتَ.

فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَياةِ أُمِّهِ؟

فَقالَ: «إِنِّي لا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِن بِرِّ الوالِدَةِ»(١).

وَقالَ مَكْحُولٌ، والإمامُ أحمدُ رَحِمَهُما اللهُ: «بِرُّ الوالِدَيْنِ كَفَّارَةٌ لِلْكَبائِرِ»(٢).

والذي عَلَيْهِ أَكْثَرُ العُلَماءِ: أَنَّ الكَبائِرَ لا تُكَفَّرُ إلا بِالتَّوْبَةِ، قالَ الحافِظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصحيحُ قَوْلُ الجُمْهُورِ: أَنَّ الكَبائِرَ لا تُكَفَّرُ بِدُونِ التَّوْبَةِ»(٣).

وَعَنْ طَيْسَلَةَ بْنِ مَيَّاسٍ، قالَ: قالَ لي ابنُ عُمَرَ: أَتَفْرَقُ النَّارَ، وتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الجَنَّةَ؟

قُلْتُ: إي واللهِ.

---

(١) رَواهُ البُخاريُّ في الأَدَبِ المُفْرَدِ (٤)، وصَحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في صحيحِ الأَدَبِ المُفْرَدِ (٤).
(٢) حِلْيَةُ الأَوْلِياءِ (٥/ ١٨٣)، الآدابُ الشَّرْعِيَةُ لابنِ مُفْلِحٍ (١/ ٤٣٦).
(٣) جامعُ العُلومِ والحِكَمِ (١/ ٤٢٩).

قالَ: أَحَيٌّ والِداكَ؟

قُلْتُ: عِنْدي أُمِّي.

قالَ: «فَواللهِ لَوْ أَلَنْتَ لَها الكَلامَ، وأَطْعَمْتَها الطَّعامَ، لَتَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ، ما اجْتَنَبْتَ الكَبائِرَ»[١].

وَبِرُّ الوالِدَيْنِ سَبَبٌ لِإِجابَةِ الدُّعاءِ، وتَفْرِيجِ الكُرُباتِ:

كَما في حَديثِ الثَّلاثَةِ الذينَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصخْرَةُ، وتَوَسَّلَ كُلُّ واحِدٍ مِنهُمْ بِعَمَلٍ صالِحٍ لَهُ، وقَدْ بَوَّبَ عَلَيْهِ البُخاريُّ: «بابُ: إِجابَةِ دُعاءِ مَنْ بَرَّ والِدَيْهِ»، وفيهِ:

«فَقالَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ إِنَّهُ كانَ لي والِدانِ شيخانِ كَبيرانِ، ولي صِبْيَةٌ صِغارٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوالِدَيَّ أَسْقيهِما قَبْلَ بَنيَّ، وإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذاتَ يَومٍ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُما ناما، فَحَلَبْتُ كَما كُنْتُ أَحْلُبُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِما، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُما، وأَكْرَهُ أَنْ أَسْقيَ الصِّبْيَةَ، والصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ[٢] عِنْدَ قَدَمَيَّ، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ.

فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغاءَ وجْهِكَ، فافْرُجْ لَنا فُرْجَةً نَرَى مِنها السَّماءَ، فَفَرَجَ اللهُ، فَرَأَوْا السَّماءَ»[٣].

---

(١) رَواهُ البُخاريُّ في الأَدَبِ المُفْرَدِ (٨)، وصَحَّحَهُ الأَلْبانيُّ.

(٢) يَصيحُونَ مِن شِدَّةِ الجُوعِ.

(٣) رَواهُ البُخاريُّ (٢٣٣٣)، ومُسلمٌ (٢٧٤٣).

وَبِرُّ الوالِدَيْنِ اعْتِرافٌ بِالجَميلِ، ورَدٌّ لِبَعْضِ حَقِّهِما:

فَفي الحديثِ: «**لا يَجْزي ولَدٌ والِدًا**[١]**، إلا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ، فَيُعْتِقَهُ**»[٢].

وَسَأَلَ رَجُلٌ ابنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهُو يَطُوفُ بِالبَيْتِ، وقَدْ حَمَلَ أُمَّهُ وراءَ ظَهْرِهِ، وهُو يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا المُذَلَّلْ إِنْ أُذْعِرَتْ رِكابُها لَمْ أُذْعَرْ

ثُمَّ قالَ: يا ابنَ عُمَرَ، أَتُراني جَزَيْتُها؟

قالَ: «لا، ولا بِزَفْرَةٍ واحِدَةٍ»[٣].

بِرُّ الوالِدَيْنِ بَيْنَ السَّلَفِ، والخَلَفِ:

للسَّلَفِ حِكاياتٌ وقَصَصٌ طيّبةٌ في بِرِّ الوالِدَيْنِ، فَمِن ذلكَ:

أَنَّ أُمَّ مِسْعَرِ بْنِ كِدامٍ طَلَبَتْ ماءً في بَعْضِ اللَّيْلِ مِن ابنِها مِسْعَرٍ، فَذَهَبَ فَجاءَها بِشَرْبَةٍ، فَوَجَدَها قَدْ ذَهَبَ بِها النَّوْمُ، فَباتَ بِالشَّرْبَةِ عِنْدَ رَأْسِها، حَتَّى أَصْبَحَ[٤].

---

(١) أي: لا يُكافِئُهُ بِإِحْسانِهِ، وقَضاءِ حقِّهِ.

(٢) رَواهُ مُسلمٌ (١٥١٠).

(٣) الأَدَبُ المُفْرَدُ (١١)، وصَحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في صحيحِ الأَدَبِ المُفْرَدِ (٩). والزفرة: تردد النَّفَسِ، وهو ممّا يَعْرِضُ لِلمرأَةِ عِندَ الوِلادَةِ.

(٤) البِرُّ والصِّلَةُ لابنِ الجَوزيِّ (ص٨٨).

وَكانَ ظَبْيانُ بْنُ عَلِيٍّ مِن أَبَرِّ النَّاسِ بِأُمِّهِ، فَنامَتْ أُمُّهُ لَيْلَةً وفي صَدْرِها عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَقامَ على رِجْلَيْهِ قائِمًا، يَكْرَهُ أَنْ يُوقِظَها، ويَكْرَهُ أَنْ يَقْعُدَ، حَتَّى إذا ضَعُفَ جاءَ غُلامانِ مِن غِلْمانِهِ، فَما زالَ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِما حَتَّى اسْتَيْقَظَتْ(١).

وَهذا ابنُ عَوْنٍ، نادَتْهُ أُمُّهُ فَأَجابَها، فَعَلا صَوْتُهُ صَوْتَها؛ فَأَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ(٢).

وَقالَ مُحَمَّدُ بْنُ المُنْكَدِرِ: «بِتُّ أَغْمِزُ رِجْلَ أُمِّي(٣)، وباتَ عُمَرُ(٤) يُصَلِّي، وما يَسُرُّني أَنَّ لَيْلَتي بِلَيْلَتِهِ»(٥).

وسُئِلَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ عَنْ بِرِّ ابنِهِ بِهِ؛ فَقالَ: «ما مَشَى مَعي نَهارًا قَطُّ إِلا كانَ خَلْفي، ولا لَيْلًا إِلا كانَ أَمامي، ولا رَقَى على سَطْحٍ أَنا تَحْتَهُ»(٦).

وَدَخَلَ رَجُلٌ على مُحَمَّدِ بْنِ سيرينَ وهُو عِنْدَ أُمِّهِ، فَقالَ: ما شَأْنُ مُحَمَّدٍ، أَيَشْتَكي شَيْئًا؟ فَقالُوا: لا، ولَكِنَّهُ هَكَذا يَكُونُ إِذا كانَ عِنْدَ أُمِّهِ(٧).

---

(١) مَكارِمُ الأَخْلاقِ لابنِ أَبي الدُّنيا (ص٧٦).
(٢) تاريخُ دِمشقَ (٣١/ ٣٤٥).
(٣) يعني: أَدْلُكُها.
(٤) يعني: أخاه.
(٥) الزُّهْدُ للإمام أَحمدَ (ص٧٢).
(٦) البِرُّ والصِّلَةُ (ص١٠٠).
(٧) الزُّهْدُ لأحمدَ (٢٤٨).

وَكانَ حَيْوةُ بْنُ شُرَيْحٍ- أَحَدُ أَئِمَّةِ المسلمينَ- يَقْعُدُ في حَلْقَتِهِ يُعَلِّمُ النَّاسَ، فَتَقُولُ لَهُ أُمُّهُ: «قُمْ يا حَيْوَةُ، فَأَلْقِ الشَّعيرَ لِلدَّجاجِ»، فَيَقُومُ لِيُطْعِمَ الدّجاجَ، ثُمَّ يَعُودُ[١].

وَدَخَلَ رَجُلٌ وابنُهُ السِّجْنَ، وكانَ الأَبُ لا يَتَوَضَّأُ إِلا بِالماءِ الحارِّ، فَمَنَعَهُما السَّجَّانُ مِن إِدْخالِ الحَطَبِ في لَيْلَةٍ بارِدَةٍ، فَلَمَّا ناما، قامَ الابنُ إِلى وِعاءٍ ومَلَأَهُ ماءً، ثُمَّ أَدْناهُ مِنَ المِصْباحِ، فَلَمْ يَزَلْ قائِمًا، وهُو في يَدِهِ، يُسَخِّنُهُ على حَرِّ المِصْباحِ، حَتَّى أَصْبَحَ[٢].

وَفي عَصْرِنا نَماذِجُ طَيِّبَةٌ مِن ذلكَ:

فَهذا شيخُنا عبدُ الرَّحْمَنِ البَرَّاك حَفِظَهُ اللهُ، كانَ يَخْدِمُ أُمَّهُ وهُو ضَريرٌ، ويَقُومُ بِحاجاتِها، وكُنَّا نَكُونُ عِنْدَهُ -أَحْيانًا-؛ لِلْقِراءَةِ عَلَيْهِ، فَإِذا اسْتَيْقَظَتْ، أَوْ أَرادَتْ شَيْئًا، قَطَعَ الدَّرْسَ، أَوِ القِراءَةَ، وقامَ إِلَيْها، فَقَضَى ما تُريدُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ، وتَرَكَ الحَجَّ في بَعْضِ السِّنينَ؛ لِأَجْلِ أُمِّهِ، وقَدْ ماتَتْ رَحِمَها اللهُ.

وَهذا رَجُلٌ أَشارَتْ عَلَيْهِ والِدَتُهُ -قَديمًا- أَنْ يَشْتَرِيَ أَرْضًا بِمَكَّةَ -وَلَوْ بَعيدَةً-، فاسْتَجابَ لَها؛ بِرًّا بِها، ثُمَّ تَضاعَفَتْ قيمَتُها آلافَ المَرَّاتِ، فَجَعَلَها وقْفًا على أُمِّهِ.

وَهُناكَ مَنْ يُعْطي أُمَّهُ نَصيبًا دائِمًا مِن أَرْباحِ اسْتِثْماراتِهِ.

---

(١) بِرُّ الوَالِدَينِ للطُّرْطُوشيِّ (ص٧٩).

(٢) بِرُّ الوَالِدَينِ لابنِ الجوزيِّ (ص٦).

وَهـذا شـابٌّ كانَ بارًّا بِأُمِّـهِ جِدًّا، وهيَ قاسـيَةٌ عَلَيْهِ جِـدًّا، وكانَتْ تَضْرِبُهُ على رَأْسِـهِ، وهُو سـاكِتٌ، وفي يَومٍ مِنَ الأَيَّـامِ ضَرَبَتْهُ أُمُّهُ على رَأْسِـهِ كالعـادَةِ، فَبَكَى بُكاءً شَـديدًا، فَسَـأَلُوهُ عَنْ سَـبَبِ بُكائِهِ، فَقالَ: «لَقَدْ أَحْسَسْتُ بِضَعْفِ يَدِها وهيَ تَضْرِبُني؛ فَبَكَيْتُ مِن أَجْلِها».

وَتَقُـولُ طَبيبَـةٌ: دَخَلَتْ عَـلَيَّ العيادَةَ عَجُـوزٌ بِصُحْبَةِ ابنِهـا، فَلاحَظْتُ حِرْصَهُ الزَّائِدَ عَلَيْها، فَهُوَ يُمْسِـكُ يَدَها، ويُصْلِحُ لَها عَباءَتَها، وقالَ لِي: إِنَّ عِنْدَها مُشْكِلَةً في العَقْلِ، فَسَأَلْتُهُ: فَمَنْ يَرْعاها؟ قالَ: أَنا. قالَتْ: فَمَنْ يَهْتَمُّ بِنَظافَـةِ مَلابِسِـها، وبَدَنِها؟ قالَ: أَنـا، أُدْخِلُها الحَمَّامَ، وأُحْضِرُ مَلابِسَـها، وأَنْتَظِرُهـا إلى أَنْ تَنْتَهـيَ، قالَتْ: ولِمَ لا تُحْضِرُ لَها خادِمَـةً؟ قالَ: لِأَنَّ أُمِّي مِسْـكينَةٌ، مِثْـلَ الطِّفْلِ لا تَشْـتَكي، وأَخـافُ أَنْ تُؤْذيَهـا الشَّـغَّالَةُ. وفَجْأَةً نَظَرَتْ أُمُّهُ، وقالَتْ: مَتَى تَشْـتَري لي بَطاطِساً؟ قالَ: أَبْشِري، الحين أَذْهَبُ بِكِ إلى البِقالَةِ. فَرِحتِ الأُمُّ، وقامَتْ تَقْفِزُ قائِلَةً: الحين! الحين!

التَفَـتَ الابنُ، وقالَ: واللهِ إِنِّي أَفْـرَحُ لِفَرْحَتِها، أَكْثَرُ مِن فَرْحَةِ عيالي الصِّغـارِ، قالَتِ الطَّبيبَةُ: ما عِنْدَها غيرُكَ؟ قالَ: أَنا وحيدُها، ومُنْذُ كانَ عُمُري عَشْرَ سِنينَ وأنا أَرْعاها، وأَهْتَمُّ بِها[1].

كَيْفَ تَبَرُّ والِدَيْكَ؟

بِرُّ الوالِدَيْنِ يَكُونُ بِالإِحْسانِ إِلَيْهِما، بِالقَوْلِ، والفِعْلِ:

(١) منشورٌ في الشبكةِ العَنكَبُوتِيَّةِ.

إِحْسانُ القَوْلِ، الدَّالِّ على الرِّفْقِ، والمَحَبَّةِ، وتَجَنُّبِ غَليظِ القَوْلِ، ورَفْعِ الصوْتِ.

طاعَتُهُما في غيرِ مَعْصيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيما فيهِ مَنْفَعَةٌ لَهُما، بِالفِعْلِ، أَوِ التَّرْكِ، ولا ضَرَرَ فيهِ على الوَلَدِ.

مُناداتُهُما بِأَحَبِّ الأَلْفاظِ إِلَيْهِما، ولَيْسَ بِاسْمَيْهِما، بَلْ يقولُ: يا أَبي، يا أُمِّي، يا أَبَتِ، يا أَبَتاهُ.

تَقْبيلُ يَدَيْهِما، ورَأْسَيْهِما.

الإِنْفاقُ عَلَيْهِما، وتَلْبيَةُ مُتَطَلَّباتِهِما، وكُلِّ ما يَحْتاجانِ إِلَيْهِ.

تَعْليمُهُما ما يَحْتاجانِ إِلَيْهِ، مِن أُمُورِ دينِهِما، ودُنْياهُما.

إِدْخالُ السُّرُورِ عَلَيْهِما.

اسْتِئْذانُهُما في السَّفَرِ.